|  |
| --- |
| **عبادة التفكر** |
|  |
| **د. بدر عبد الحميد هميسه** |
| **بسم الله الرحمن الرحيم**  **لقد كان فضل الإسلام على البشريّة عظيماً حين جاء بحقائق تبيّن أن الكون في خدمة الإنسان وليس عدوّاً له وأن كل شيء مسخر لخدمة هذا المخلوق المكرم , قال تعالى : \" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) سورة إبراهيم . وقال : \" اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) سورة الجاثية .  فعلاقة الإنسان بالكون علاقة تلازم وتناغم تتمثل في الاستكشاف المعرفي والانتفاع المادي متنوّع الأوجه والأشكال كما تعني الاستلهام الجمالي، وهو ما لفت الله تعالى أنظارنا إليه في كثير من آي القرآن الكريم , قال تعالى : \"أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) سورة النحل . وهكذا يجمع الإسلام بين الإشباع الحسّي والوجداني وحاجات الإنسان المادية ليرتقي به ماديا ونفسيا ويحدث التوازن في شخصيته وحياته.**  **مع الله في سبحات الفكر \*\*\* مع الله في لمحات البصر  مع الله في ومضات الكرى \*\*\* مع الله عند امتداد السهر  مع الله و القلب في نشوة \*\*\* مع الله و النفس تشكو الضجر  مع الله في أمسي المنقضي \*\*\* مع الله في غدي المنتظر  مع الله في عنفوان الصبا \*\*\* مع الله في الضعف عند الكبر  مع الله قبل حياتي وفيها \*\*\* وما بعدها عند سكني الحفر  مع الله في الجد من أمرنا \*\*\* مع الله في جلسات السمر  مع الله في حب أهل التقى \*\*\* مع الله في كره من قد فجر**  **فالكون في الإسلام مصدر للمعرفة العلميّة والمعرفة الإيمانيّة , ولقد أجرمت الحضارة الغربيّة في حق الدين والعلم والإنسان حين ألغت الدلالات الغيبيّة لآيات الكون وقصرت التعامل على المعرفة الماديّة فقط , ونسيت أن هناك علاقة ترابط وانسجام بين الإنسان والكون , قال تعالى : \" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) سورة النور , وقال : \" وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) سورة الأنبياء , وقال : \" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) سورة سبأ. عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ أُحُدًا ، فَقَالَ : هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ. - وفي رواية :نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى أُحُدٍ ، فَقَالَ : إِنَّ أُحُدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ. أخرجه أحمد 3/140(12448) و\"البُخَارِي\" 5/132(4083) و\"مسلم\" 4/124(3351). وعَنْ قَتَادَةَ ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أُحُدًا ، فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمُ ، فَقَالَ : اسْكُنْ ، نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ.أخرجه أحمد 3/112(12130) و\"البُخَارِي\" 5/11 (3675). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : جُمْدَانُ ، فَقَالَ : سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ، قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ. أخرجه أحمد 2/411(9321) و\"مسلم\" 6905. فكأن هنا للجبال عواطف نسجت شبكةً من التجاوب بينها وبين عباد الله الصالحين ملؤها الحب والتعاضد في تمجيد الله تعالى , قال تعالى : \" لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) سورة الحشر . وليس الجبال فقط بل كل شيء في الكون فالنار تحسن معاملة إبراهيم عليه والسلام فبدل أن تحرقه كانت برداً وسلاماً عليه قال تعالى : \" قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) سورة الأنبياء , والبحر يحتضن موسى عليه السلام وهو رضيع فارق أمّه وأهله ويحفّه بالرعاية حتّى يبلغ مأمنه , قال تعالى : \" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) سورة القصص , والكهف الموحش – وهو مظنّة الهلاك – يؤوي الفتية المؤمنين الفارّين بدينهم فيجدون فيه السكينة الّتي افتقدوها في الدور القصور بين أهلهم الكافرين , قال تعالى : \" فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) سورة الكهف , والريح تسارع بحمل البشرى إلى يعقوب عليه السلام قبل أن يصله قميص يوسف بأنّ ابنه المفقود حيّ يرزق , قال تعالى : \" وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) سورة يوسف , ويرفق البحر والحوت معا بيونس عليه السلام فيخرج من المحنة العجيبة سالما لم يغرقه الماء ولم يأكله الحوت وإنّما ابتلعه فحسب , قال تعالى : \" فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) سورة الصافات .  بل إن الكون يصطفّ الكون مع المسلمين في معركتهم الفاصلة ضدّ اليهود فينادي الشجر والحجر المسلم ويدلّه على مخبأ اليهوديّ ليخلّص الأرض من رجسه وظلمه , عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِىٌّ وَرَائِى فَاقْتُلْهُ.أَخْرَجَهُ أحمد 2/121(6032) و\"البُخَارِي\" 4/239(3593) و\"مسلم\" 8/188(7443). إن الكون كتاب مفتوح جعله الله تبارك وتعالى ليُقرَأ بكل لغة وبكل لسان، ويدرك بكل الحواس وبأي وسيلة للوقوف على صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، والذي أعطى كل شيء خلقة ثم هدى. هذا الإبداع الرباني الذي ينطق بعظمة الخالق جل وعلا؛ السماء وارتفاعها واتساعها وما فيها من مجرّات دائرة وكواكب نيرة ونجوم زاهرة، والأرض وانبساطها وانخفاضها وما فيها من جبال وبحار وثمار وأشجار وأنهار وإنسان وحيوان، تجعل القلب ينطق قبل اللّسان , قال تعالى : \" وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . سورة البقرة:163-164. قال الشاعر :**  **سل الواحة الخضراء والماء جاريـا \* \* \* وهـذه الصحـاري والجبـال الرواسـي سل الروض مزداناً سل الزهر والندى \* \* \* سل الليل والإصباح والطير شاديا سل هذه الأنسام والأرض والسما \* \* \* سل كل شـيء تسمـع الحمد ساريـا فلو جنَّ هـذا الليـل وامتـد سرمـدا \* \* \* فمـن غيـر ربـي يرجـع الصبـح ثانيـا**  **ولقد كانت عبادة التفكر دأب النبي صلى الله عليه وسلم منذ تحنثه وهو شاب في غار حراء , وظل ذلك ديدنه حتى لحق بالرفيق الأعلى , فعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان ليلة من الليالي قال : يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي , قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها , ثم قرأ : \"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) سورة آل عمران .رواه ابن حبان في \" صحيحه \" ( 523) الألباني في \"السلسلة الصحيحة\" 1 / 106 . وعَنْ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم بِسَبْعِ خِصَالٍ ، فَلَنْ أَدَعَهُنْ حَتَّى أَلْقَاهُ ، أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، وَلاَ أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي ، وَلاَ أَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا ، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَلاَ تَأْخُذُنِي فِي الله لَوْمَةُ لاَئِمٍ ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لاَ حَوْلَ ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله \" . أخرجه رزين : انظر المشكاة 5358 وتفسير القرطبي 7\\346 , وانظر : إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (ج 3 / ص 128) وفي إسناده نظر . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما سُئل بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي، فقيل له: وهل يتأتى لبشر أن يدركه؟ فقال: \"العجز عن الإدراك إدراك والبحث في ذات الله إشراك. وفي الحديث : \" تفكروا في خلق الله و لا تفكروا في الله فتهلكوا .الألباني حديث رقم : 2471 في ضعيف الجامع . قال أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله فيه نعمة ولي فيه عبرة. ولما سئلت أم الدرداء عن أفضل عبادة أبي الدرداء قالت: التفكر والاعتبار. وعن محمد بن كعب القرظي قال: \"لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ(إذا زلزلت) والقارعة لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلى من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًا ـ أو قال: ـ أنثره نثرًا. وعن طاوس قال: \"قال الحواريون لعيسى ابن مريم: يا روح الله، هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم من كان منطقه ذكرًا وصمته فكرًا ونظره عبرة فإنه مثلي\". وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك! فلو جلست مع الناس كان آنس لك, فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة. وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم, وما علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة. قال عبد الله بن المبارك يوماً لسهل بن علي -ورآه ساكتا متفكراً-: أين بلغت؟ قال: الصراط. وقال بِشْر: لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل. وعن ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب.. قال الشاعر :**  **الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ \* \* \* وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ فَيْضٌ مِنْ عَطَايَاهُ الطَّيْرُ سَبَّحَهُ وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ \* \* \* وَالْمَوْجُ كَبَّرَهُ وَالْحُوتُ نَاجَاهُ وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ \* \* \* وَالنَّحْلُ يَهْتِفُ حَمْدًا فِي خَلايَاهُ وَالنَّاسُ يَعْصُونَهُ جَهْرًا فَيَسْتُرُهُمْ \* \* \* وَالْعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ**  **لذلك كان التفكر من أفضل العبادات، لما له من آثار طيبة في حياة الإنسان والتي منها :  1- أن التفكر في الكون يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل. فما طالت فكرة امرئ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل، ولو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل، والفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. قال الشاعر :**  **نُزْهَةُ الْمُؤْمِنِ الْفِكَرْ \* \* \* لَذَّةُ الْمُؤْمِنِ الْعِبَرْ رُبَّ لاهٍ وَعُمْرُهُ \* \* \* قَدْ تَقَضَّى وَمَا شَعَرْ**  **جاء في الأثر : يا ابن آدم : جعلت لك قرارا مكينا في بطن أمك ، وغطيت وجهك بغشاء رقيق حتى لا تتأذي برائحة الطعام ، وحولت وجهك في بطن أمك حتى لا يؤذيك التنفس ، وجعلت لك متكأين ،متكأ عن يمينك ، ومتكأ عن شمالك ، أما الذي عن يمينك فالكبد وأما الذي عن شمالك فالطحال ،وعلمتك القيام والقعود وأنت في بطن أمك أفيقدر علي هذا أحد غيري ؟ ولما حان موعد وضعك أرسلت إلي الملك الموكل بالأرحام ليخرجك ،فأخرجك علي ريشة من جناحه ، وأنت ليس لك سن تقطع بها ولا يدا تفتح بها ولا رجل تمشي عليها وجعلت لك عرقان رقيقان في صدر أمك يخرجان لك لبنا سائغا حار في الشتاء بارد في الصيف وجعلت الحنان في قلب أبويك فلا يأكلان حتى تأكل ولا يشربان حتى تشرب أفيقدر علي هذا أحد غيري ؟ ولما قوي عودك واشتد ظهرك بارزتني بالمعاصي في الخلوة ومع الجماعة ولم تستحي مني ومع ذالك إن سألتني أعطيتك وان دعوتني أجبتك وان استغفرتني غفرت لك يا أبن آدم : من أكثر مني جودا وكرما وأنا الجواد الكريم ؟. قال الشاعر :**  **تسبحه نغمات الطيور \* \* \* يسبحه الظل تحت الشجر يسبحه النبع بين المروج \* \* \* وبين الفروع وبين الثمر يسبحه النور بين الغصون \* \* \* يسبحه المساء وضوء القمر**  **قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله :  زر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله عليك في حسن الخُلق.  زر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والعافية.  زر الحديقة مرة في الأسبوع لتعرف فضل الله عليك في جمال الطبيعة.  زر المكتبة مرة في اليوم لتعرف فضل الله عليك في العقل.  زر ربك كل آن لتعرف فضله عليك في نعم الحياة. قال الشاعر :**  **فوا عجبا كيف يعصي الإله \* \* \* أم كيف يجحده جاحدُ  لله في كل تحريكة \* \* \* وتسكينة أبدا شاهدُ  وفي كل شيء له آية \* \* \* تدل على أنه واحدُ**  **وقال آخر :**  **تَأَمَّلْ في رِيَاضِ الرِّوضِ وانظر \* \* \* إلَى آثارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ عُيُونٍ مِنْ لجينٍ شاخصاتٍ \* \* \* بأحداقٍ كما الذَّهَب السَّبيك عَلَى قَضِيبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِداتٍ \* \* \* بأَنَّ اللهَ ليسَ لَهُ شَرِيك**  **2- أن التفكر في الكون يكشف عن عظمة الخالق في خلقه ,ويجعل المرء يقر بوحدانية الله تعالى , ويتواضع لعظمته , ويحاسب نفسه على أخطائها فيزداد إيماناً وصفاء. سئل أعرابي عن الدليل فقال : البعرة تدل على البعير . والروث على الحمير ، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج . وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟. قال سبحانه : \" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله \" . سورة الزخرف : 87 . قال الشاعر:**  **الطير سبحه والوحش مجده \*\*\*والموج كبره والحوت ناجاه والنمل تحت الصخور الصم قدسه\*\*\* والنحل يهتف حمداً في خلاياه الناس يعصونه جهرا فيسترهم \*\*\*والعبد ينسى وربي ليس ينساه**  **جاء رجل للإمام الشافعي وسأله...يا إمام ما الدليل على وحدانية الله عز وجل , عندما رد الإمام ما ذا كان ردة :سبحان الله . الإمام لم ينظر إلى الفلك ومدراها وهي دليل على وحدانية الله وقدرته في الخلق ولم ينظر إلى الجبال ورسوخها وشموخها ,ولم ينظر إلى الأرض واتساعها ,ولم ينظر إلى الشمس وشعاعها.قال الدليل على وحدانية الله تعالى ورقة التوت ,فسأله الرجل كيف يا إمام ؟ .أجاب : الدودة تأكل الورقة فتخرج حريرا طريا ,والنحل يأكل الورقة فتخرجها عسلا شهيا,والشاة تأكل الورقة فتخرجها لبن نديا ,والغزال يأكل الورقة فيخرجها مسكا نقيا,المادة واحدة والصنعة مختلفة فمن الصانع. قال الشاعر :**  **انْظُرْ لِتِلْكَ الشَّجَرَهْ \*\*\* ذَاتِ الْغُصُونِ النَّضِرَهْ كَيَفَ نَمَتْ مِنْ حَبَّةٍ \*\*\* وَكَيْفَ صَارَتْ شَجَرَهْ ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي \*\*\* يُخْرِجُ مِنْهَا الثَّمَرَهْ؟! ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي \*\*\* أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَهْ ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ \*\*\* وَقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَهْ وَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي \*\*\* جَذْوَتُهَا مُسْتَعِرَهْ فِيهَا ضِيَاءٌ وَبِهَا \*\*\* حَرَارَةٌ مُنْتَشِرَهْ ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي \*\*\* يُخْرِجُ مِنْهَا الشَّرَرَهْ؟! ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي \*\*\* أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَهْ ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ \*\*\* وَقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَهْ**  **فتأمل – أيها العاقل – وسل نفسك : مَنْ علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتفى أثره ويطلب ، عفى أثر مشيته بِذَنَبِه ، ومن علمه أن يأتي إلى شبله في اليوم الثالث من وضعه ، فينفخ في منخريه ، لأن اللبوة تضعه جرواً كالميت ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه فيفعل به ذلك ! . ومن ألهم كرام الأسود وأشرافها أن لا تأكل إلا من فريستها ، وإذا مر بفريسة غيره لم يدن منها ولو جهده الجوع !. ومن علم الأنثى من الفيلة إذا دنا وقت ولادتها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه ، لأنها دون الحيوانات لا تلد إلا قائمة ، لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان ، وهي عالية ، فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق ، فتأتي ماء وسطاً تضعه فيه يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم . ومن علم الذباب إذا سقط في مائع أن يتقي بالجناح الذي فيه الداء دون الآخر !. ومَنْ علم الكلب إذا عاين الظباء أن يعرف المعتل من غيره ، والذكر من الأنثى ، فيقصد الذكر مع علمه بأنّ عدوه أشد وأبعد وثبة ، ويدع الأنثى على نقصان عدوها ؛ لأنّه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين حقن ببوله ، وكل حيوان إذا اشتد فزعه فإنه يدركه الحقن ، وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو ، فيقل عدوه ، فيدركه الكلب ، وأما الأنثى فتحذف بولها لسعة القبل وسهولة المخرج ، فيدوم عدوها !. ومَنْ علمه أنه إذا كسا الثلج الأرض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخسف ، فيعلم أن تحته جحر الأرانب ، فينبشه ، ويصطادها علماً منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فيرق !. ومن علم الذئب إذا نام أن يجعل النوم نوباً بين عينيه ، فينام بإحداهما ، حتى إذا نعست الأخرى نام بها ، وفتح النائمة ! حتى قال بعض العرب : ينام بإحدى مقلتيه ويتقي \*\*\* بأخرى المنايا فهو يقظان نائم ومَنْ علم العصفورة إذا سقط فرخها أن تستغيث ، فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء ، فيطيرون حول الفرخ ، ويحركونه بأفعالهم ، ويحدثون له قوة وهمة وحركة ، حتى يطير معهم !. قال بعض الصيادين : ربما رأيت العصفور على الحائط ، فأومي بيدي كأني أرميه فلا يطير ، وربما أهويت إلى الأرض كأني أتناول شيئاً فلا يتحرك ، فإن مسست بيدي أدنى حصاة أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها يدي . ومن علم (( اللبب )) وهو صنف من العناكب أن يلطأ بالأرض ، ويجمع نفسه ، فيرى الذبابة أنه لاه عنها ، ثم يثب عليها وثوب الفهد !. ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة ، وتجعل في أعلاها خيطاً ثم تتعلق به ، فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة تدلت إليها فاصطادتها !. ومن علم الظبي أن لا يدخل كناسه إلا مستدبراً ، ليستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه ! ومن علم السنور إذا رأى فأرة في السقف أن يرفع رأسه كالمشير إليها بالعود ، ثم يشير إليها بالرجوع ، وإنما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط !. ومن علم اليربوع أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ، ويعمقه ثم يتخذ يف زواياه أبواباً عديدة ، ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزاً رقيقاً ، فإذا أحس بالشر فتح بعضها بأيسر شيء ، وخرج منه ، ولما كان كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة علامة له على البيت ، إذا ضل عنه!. ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ، ثم يظهر !. ومن علم الأيل إذا سقط قرنه أن يتوارى ، لأنّ سلاحه قد ذهب ، فيسمن لذلك ، فإذا كمل نبات قرنه تعرض للشمس والريح ، وأكثر من الحركة ليشتد لحمه ، ويزول السمن المانع له من العدو .  3- أن التفكر في الكون يفتح آفاق المعرفة والتعلم , فحبنما يتفكر المرء في الكون يكتسب معارف جديدة وعلوم نافعة يستفيد منها في جميع أمور حياته .  قال أحد العلماء يبتديء خطبته : الحمد لله رب المشارق والمغارب , خلق الإنسان من طين لازب , ثم جعله نطفه بين الصلب والترائب خلق منه زوجه وجعل منها الأبناء والأقارب , تلطف به فنوع له المطاعم والمشارب ,وحمله في البر على الدواب وفى البحر على القوارب , نحمده تبارك وتعالى حمد الطامع في المزيد والطالب , ونعوذ بنور وجهه الكريم من شر العواقب , وندعوه دعاء المستغفر الواجل التائب , أن يحفظنا من كل شر حاضر أو غائب , واشهد أن لا اله إلا الله القوى الغائب , شهادة متيقن بأن الوحدانية لله أمر لازم لازب أرأيت الأرض في دورانها كيف تمسكت بكل ثابت وسائب , أرأيت الشموس في أفلاكها كيف تعلقت بنجم ثاقب , أرأيت الرياح كيف سخرت فمنها الكريم ومنه المعاقب , أرأيت الأرزاق كيف دبرت وهل في الطيور زارع أو كاسب , أرأيت الأنعام كيف ذللت فجادت بألبانها لكل حالب , أرأيت النحل كيف رشف رحيق الزهور فأخرج الشفاء الشارب , أرأيت النمل كيف خزن طعامه وهل للنمل كاتب أو حاسب , أرأيت الإنسان كيف ضحك أرأيت كيف تثائب , أرأيت نفسك نائما وقد ذهبت بك الأحلام مذاهب , إذا أرأيت كله فاخشع فلا نجاه للهارب , واشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسول الملك الواهب , ما من عاقل إلا وعلم أن الإيمان به حق واجب , سل العدوان وسل هل عابه في الحق عائب , سل الشهداء عنه هل كانت في الدنيا مأرب , سل صناديد قريش في قليب بدر الصادق ومن الكاذب , سل السيوف سل الرماح هل حملها مثله محارب , سل الغار عن الحمامة حيث باضت فأغشت أعينا كانت تراقب , سل سراقة عن قوائم حصانه كيف ساخت في الصخر حتى المناكب , سل أم العبد كيف سقاها اللبن والشاه مجهده وعازب , سل الشمس سل القمر عن نوره إذ الكل غارب , سل النجوم متى صلت وسلمت عليه في المسارب, سل المسجد الأقصى عن قرأنه والرسل تسمع والملائكة مواكب , سل الزمان متى توقف وسل المكان كيف تقارب , سل السموات السبع هل وطئها قبله رجل أو راكب , سل أبوابها كيف تفتحت ومن استقبله على كل جانب , سل الملائكة أين اصطفت لتحيته كما تصطف الكتائب , سل الروح الأمين لماذا توقف عند الحجاب ومن الحاجب , سل العشا عن حبهم والناس فيما يعشقون مذاهب , سل سدرة المنتهى عن كأس المحبة من الساقي ومن الشارب , يا رب صلى على الحبيب المصطفى أهل الفضل والمواهب , وعلى الصحب والآل ومن تبع عدد ما في الكون من عجائب وغرائب. يقول الشاعر : إبراهيم بديوي :**  **لِلَّهِ فِي الآفَاقِ آيَاتٌ لَعَـ \* \* \* ـلَّ أَقَلَّهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَا وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ \* \* \* عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا وَالْكَوْنُ مَشْحُونٌ بِأَسْرَارٍ إِذَا \* \* \* حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَا قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى \* \* \* يَاشَافِيَ الأَمْرَاض مَنْ أَرْدَاكَ؟ قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَمَا \* \* \* عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟ قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لا مِنْ عِلَّةٍ \* \* \* مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَ؟ قُلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً \* \* \* فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ؟ بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطَا بَيْنَ الزِّحَامِ \* \* \* بِلا اصْطِدَامٍ مَنْ يَقُودُ خُطَاكَ؟ قُلْ لِلْجَنِينِ يَعِيشُ مَعْزُولاً بِلا \* \* \* رَاعٍ ومَرْعًى مَا الَّذِي يَرْعَاكَ؟ قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكَى وَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ \* \* \* لَدَى الْوِلادَةِ مَا الَّذِي أَبْكَاكَ؟ وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ \* \* \* فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَ؟ وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ \* \* \* تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلأُ فَاكَ؟ وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ \* \* \* شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلاَّكَ؟ بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ الْمُصَفَّى كَانَ بَيْنَ \* \* \* دَمٍ وَفَرْثٍ مَا الَّذِي صَفَّاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ الْحَيَّ يَخْرُجُ مِنْ حَنَا \* \* \* يَا مَيِّتٍ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَ؟!! قُلْ لِلْهَوَاءِ تَحُثُّهُ الأَيْدِي وَيَخْـ \* \* \* ـفَى عَنْ عُيُونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَ؟! قُلْ لِلنَّبَاتِ يَجِفُّ بَعْدَ تَعَهُّدٍ \* \* \* وَرِعَايَةٍ مَنْ بِالْجَفَافِ رَمَاكَ؟!! وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّحَرَاءِ يَرْ \* \* \* بُو وَحْدَهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَرْبَاكَ؟!! وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ يَسْرِي نَاشِرًا \* \* \* أَنْوَارَهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَ؟! وَاسْأَلْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَدْنُو وَهْيَ أَبْـ \* \* \* ـعَدُ كُلِّ شَيءٍ مَا الَّذِي أَدْنَاكَ؟! قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثِّمَارِ مَنِ الَّذِي \* \* \* بِالْمُرِّ مِنْ دُونِ الثِّمَارِ غَذَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ النَّخْلَ مَشْقُوقَ النَّوَى \* \* \* فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيبُهَا \* \* \* فَاسْأَلْ لَهِيبَ النَّارِ مَنْ أَوْرَاكَ؟! وَإِذَا تَرَى الْجَبَلَ الأَشَمَّ مُنَاطِحًا \* \* \* قِمَمَ السَّحَابِ فَسَلْهُ مَنْ أَرْسَاكَ؟! وَإِذَا تَرَى صَخْرًا تَفَجَّرَ بِالْمِيَاهِ \* \* \* فَسَلْهُ مَنْ بِالْمَاءِ شَقَّ صَفَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بِالْعَذْبِ الزُّلالِ \* \* \* جَرَى فَسَلْهُ مَنِ الَّذِي أَجْرَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ بِالْمِلْحِ الأُجَاجِ \* \* \* طَغَى فَسَلْهُ مَنِ الَّذِي أَطْغَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيًا \* \* \* فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَ؟! وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا \* \* \* فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضُحَاكَ؟! يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلاً مَا الَّذِي \* \* \* بِاللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ أَغْرَاكَا؟ سَيُجِيبُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ آيَاتِهِ \* \* \* عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا ربِّي لَكَ الْحَمْدُ الْعَظِيمُ لِذَاتِكَ \* \* \* حَمْدًا وَلَيْسَ لِوَاحِدٍ إِلاَّكَا**  **فعبادة التفكر هي عبادة الأنبياء ودرب الأتقياء ونور وبرهان للاهتداء فيها العبرات والعظات وبحر من الخيرات وفيها اليمن والبركات . فاللهم واجعلنا ممن يعبدك حق العبادة ويشكر حق الشكر , واجعلنا ممن يتفكر في آلائك ويعترف بنعمائك,  اللهم واجعلنا هداة مهدين مهتدين , وأحسن خاتمنا يا رب العالمين** |